تجليات الزمن في شعر الأعشى

The Manifestations of Time in the Poetry of Al-A'sha

إعداد الباحث :

م. د. محمد إبراهيم أحمد

Inst: Dr. Mohammed Ibrahim Ahmed

جامعة سامراء / كلية التربية – قسم اللغة العربية

اللغة العربية – النقد العربي القديم

Samarra University –College of Education –Arabic Language Department

mmasm20the@gmail.com

رقم الهاتف :٠٧٧٣٨٣٢١٠٣٥

رقم أوركيد : ٧٠٠٢-٢٨٩٠-٠٠٠٢-٠٠٠٩

الملخص

من المؤثرات الحيوية في حياة الإنسان العربي والتي شكَّلت رافداً أساسياً يمدُّه بأسباب الثقافة الفكرية ألا وهو الأدب ،وكما هو معروف أن الأدب ينشطر إلى قسمين هما الشعر والنثر ، وبما أن الشعر أرحب ميداناً فإنه شكل الجانب الأكثر بروزاً عند العربي ، وكان الأنموذج الأوسع إبداعاً وتعبيراً عن مفترقات حياته ، فكان الشعر بؤرة الانطلاق في توثيق المرتكزات المعرفية المكوِّنة للمفاصل الرئيسة في حياته آنذاك ، فكان الإنسان في ذلك الوقت ينقل صورة دقيقة استطاعت استنطاق كل ما يعتمل داخل صدره ، أو ما يتكوّر من رؤى في مخيلته، والشعر كان في الكثير من الأحيان مفتاحاً لكل شفرات الأزمات التي عزفت بيومه ، فكان يترجم تلك الاشكاليات بتعابير رشيقة ومنظومة متناسقة أفردت منهاجاً قولياً نبض بروحٍ حيةٍ استطاعت أن تكون رمزاً فاعلاً على مرِّ السنين لتتناقلها الألسن جيلاً بعد جيل فتلونت بها مستويات الفكر الثقافي والمعرفي ، وكانت القصائد الشعرية مهداً للدراسة والبحث في إظهار القيمة الفنية لهذا التشكيل الفني الرائع ، ومن تلك المفاصل التي برزت في الشعر توظيف لمفهوم الزمن في القصائد الشعرية الجاهلية ، لا سيما في مثل ما نجده في شعر الأعشى ، والذي يعد واحداً من الشعراء المبرّزين في عصر ما قبل الإسلام وأحد أصحاب القول النفيس ، لذا سيتناول البحث تسليط الضوء على حضور الزمن في شعره ومحاولة رصد هذا المفهوم ولبيان أهميته وفنيته .

الكلمات المفتاحية :(الزمن ، الأعشى - شعر الأعشى -الزمن).

Abstract :

The Manifestations of Time in the Poetry of Al-A'sha

One of the vital influences in the life of the Arab, which served as a fundamental source of intellectual culture, is literature. As is well known, literature is divided into two sections: poetry and prose. Since poetry is the broader field, it became the most prominent form of expression for the Arab, and it was the most creative and expressive model for the crossroads of his life. Poetry served as the starting point for documenting the key knowledge foundations that shaped the main aspects of his life at the time. The person of that era conveyed a precise image that could express everything that stirred within his heart or the visions that swirled in his imagination. Poetry was often the key to unlocking the crises that marked his day, translating these issues into graceful expressions and a harmonious structure, creating a verbal methodology pulsating with a living spirit that could serve as a symbol for generations, passed down through time. It enriched the levels of intellectual and cultural thought, and the poetic verses became a foundation for study and research, highlighting the artistic value of this magnificent art form. One of the key aspects that emerged in poetry was the use of the concept of time in pre-Islamic poetry, especially in the works of Al-A'sha, who is considered one of the prominent poets of the pre-Islamic era and a master of eloquent speech. This research will focus on shedding light on the presence of time in his poetry and attempt to capture and analyze this concept to highlight its significance and artistry.

Keywords:(Time, Al-A'sha, Al-A'sha's Poetry and Time)

أهمية الزمن بالنسبة للشعراء الجاهليين :

لم يكن الزمن بمنأى عن فكر الشاعر الجاهلي ، بل أدى حضوره جانباً فاعلاً في يومه وما يعتريه من تقلبات واضطرابات ، وصراعات داخل نفسه من جهة ، وصراعات مع محيطه الخارجي بكل تفريعاته من جهة أخرى ، ومن معتقدات الإنسان آنذاك وموقفه من الحياة أنها تتمثل عنده « في قناعته بأن وجوده مقيد بزمن محدد ، يبدأ بالولادة والشباب وينتهي بالمشيب والهرم « (عبد الغني أحمد زيتوني،٢٠٠١ م،ص٤٦٣) ، فالكثير من أحاديث الشعراء عن هذين النقيضين المتلازمين لحياة الشاعر ، فقد نجد الكثير من أقوالهم وهي تصف الشباب والمشيب ، وفي فضل الشباب عند العربي ما جاء من قول أبي عمرو بن العلاء أنه « ما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب ، وما بلغت به ما يستحقه « (ابن عبد ربه ،٣٦١/٢ ، والأبشيهي ،٢٠٠٨م،ص٢٩٣) وكثيراً ما ارتبط مفهوم المشيب عند الجاهلي بدنو الأجل ونهاية مسيرة ورحيله عن هذه الحياة ، لذلك نجد الأعشى يتحدث عن طول الزمن والعناء الذي يلاحق الإنسان ثم أن الموت هو القدر المحتوم الذي يتمكن من البشر سواء كان أحدهم بين أهله أو كان وحيداً في القفر ومنه قوله من المتقارب (الأعشى،ص١٥) :

لَعَمْـرُكَ مَـا طُـوْلَ هَـذَا الزَّمَـنْ ... عَلَـى المَـرْءِ إلَّا عَنَـاء مُعَـنّ
يَظَـلُّ رَجِيْمَـاً لِـرَيْبِ المَنُـوْن ... وَلَلسُّقْـمِ فِـي أَهْلِـهِ وَالحَـزَن
وَهَـالِكِ أَهْـلٍ يُجِنُّـونَهُ ... كَآخِـرَ فِـي قَفْـرَةٍ لَـمْ يُجَـنّ
وَمَـا إنْ أَرَى الدَّهْـرَ فِـي صَرْفِهِ ... يُغَـادِرُ مِـنْ شَـارِخٍ أَو يَفَـن
فَهَلْ يَمْنَعَنِي ارتِيَادِي البِـلَا ... دَ مِـنْ حَـذَرِ المَـوْتِ أَنْ يَأتِيَـن
أَ لَيْـسَ أَخُـو المَـوْتِ مُسْتَـوثِقَاً ... عَلَـيَّ وَإِنْ قُلْـتُ قَـدْ أَنْسَـأَنْ

وهذا الزمن غدّار خوّان لا يترك أحداً إلا اغتالته يد المرارة ولا فرق عنده بين سلطان منعم في الخيرات وبين إنسان يلتحف قساوة الحياة في بيئة صحراوية صلدة وهذا ما فسره الأعشى (الأعشى، ص١٥) :

أَزَالَ أُذَيْنَـةَ عَـنْ مُلْكِـهِ ... وَأَخْـرَجَ مِـنْ حِصْنِـهِ ذَا يَـزَنْ
وَخَـانَ النَّعِيْـمُ أَبَـا مَـالِكٍ ... وَأَيُّ امْـرِئٍ لَـمْ يَخُنْـهُ الزَّمَـنْ
أَفَـادَ المُلُـوكَ فَأَفْنَـاهُمُ ... وَأَخْـرَجَ مِـنْ بَيْتِـهِ ذَا حَـزَنْ

فهذا الزمن جار في مسيرته آخذ بطريقه من وجد لا يترك أحداً لحاله لا فرق عنده بين هذا وذاك فهو سيف مسلط على الجميع ، إلا أن الإنسان منذ القدم كانت قناعته تسير باتجاه يبين حرصه « على الخلود كَلِفٌ بمصارعة الزمان، يريد جهد استطاعته أنْ يؤكّد ذاته وسط سيله القوي الجارف اللانهائي» (بدوي،١٩٤٥م، ص١٠٩) ، فالكل فيه سواء ، وهو يبذل ما استطاع في محاولته الصراع مع الزمن وتقلباته والمصير المحتوم محاولة للبقاء وكانت تلك القضية أخذت حيزاً من وقته وجهده وفكره .

والمعهود أن الشاعر وهو أبعد نظرة وأدق إحساساً مرهفاً من غيره من الناس العاديين ، فكانت الحالة النفسية للشعراء تفسر مفهومهم لهذه المسألة الصراعية الدائمة مع الزمن وما يلقاه من عناء وشقاء وأن نوائب الدهر ونوازله تحيط بهم صغاراً وكباراً ؛ لا تفارقهم حتى وإن تنقلوا بين البلدان فالأمر واقع ، والقدر محتوم لا مفر منه ، فالموت هو الحقيقة البائنة والنتيجة الثابتة التي تعلل مكنونات هذه المسيرة في الحياة، كقوله من الطويل (الأعشى، ص٢١٧) :

فَمَا أَنْتَ إِن دَامَت عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ... كَمَا لَم يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَاً ومُورِقُ
وَكِسْرَى شَهِنْشَاه الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ ... لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحٌ عَتِيْقٌ وَزَنْبَقُ
وَلَا عَادِيَاً لَمْ يَمْنَعِ المَوْتَ مَالُهُ ... وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءَ اليَهُودِيِّ أَبْلَقُ
بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُودَ حِقْبَةً ... لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ
يُوَازِي كُبَيْدَاءَ المَاءِ وَدُونَهُ ... بِلَاطٌ وَدَارَاتٌ وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ
لَهُ دَرْمَكٌ فِي رَأسِهِ وَمَشَارِبٌ ... وَمِسْكٌ وَرَيْحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ
وَحُورٌ كَأمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ ... وَقِدْرٌ وَطِبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ
فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ المَوْتِ رَبَّهُ ... وَلَكِنْ أَتَاه المَوْتُ لَا يَتَأَبَّقُ

وتظل صورة الموت تتبادر إلى فكر الإنسان الجاهلي وتعصف بذهنه لكن تلك الصورة ضبابية غير واضحة لديه ، وما هو مصير الإنسان بعد الموت ، فلم يجد ما يطمئنه ويهدئ من تلك الاضطرابات حول قلقه .

وعلى الرغم من وجود بعض الأديان المعتنقة في الجزيرة العربية كاليهودية والنصرانية والحنيفية ، والتي لربما كانت قد تسهم في رفد الشعراء بأمور تيسر لهم فهم ومعرفة أسرار الكون ، إلا أن ضيق انتشار تلك الأديان بسبب اتساع مفهوم الوثنية واعتناقها لهم أدى ذلك لعدم اهتمامهم بالكثير من تلك الأديان ، بل أنهم قاموا بتفسير الوجود بصورة تلقائية ، فلعبت الوثنية التي انتشرت في قلب الجزيرة العربية دوراً مؤثراً ، وكانت العامل الذي أسهم في عدم الركون إلى مفاهيم الأديان الأخرى ، محاولة لمعرفة بعض أسرار الوجود والكيفية التي يفسر

بها الكون (هلال،١٩٩٩م، ص١٧٦) ، إلا أننا لم نحض بمثل تلك الأشعار وأن ما حملته المدونة الشعرية من أشعار اصطبغت بصبغة الوثنية ، لربما حمل ذلك الرواة الإسلاميين الذين انبروا لتدوين علوم العربية ونقل الأشعار وتوثيقها وتدوينها ، رغبتهم في عدم نقله إلينا مراعاة لمفاهيم الشريعة السمحاء ، على أن العرب تناقلت الأشعار حفظاً في صدورهم فلم يكن هناك تدوين ومخطوط لما نظمه الشعراء من قصائد ومطولات وإنما حُمِلَت الأشعارُ مشافهة فكانت تعيه قلوبهم فكانوا يمتلكون حافظة قوية وذائقة فنية أعانتهم على حفظ ذلك الإرث الفني التليد (خفاجي،١٩٩٢م،ص ٢٣٤) ، والكثير من أشعار العرب القديمة ذهبت أدراج الرياح مع من ذهب من حفظته ، الذين هلكوا بالحروب والموت ، وهذا ما ذكره أبو عمرو بن العلاء « أن ما بقي من أشعار العرب إلا أقلّه ولو جاءنا منه لجاء علم وشعر كثير» (الجمحي، ١ / ٢٥) ، فكان ما وصل إلينا يصور جوانب من حياتهم القبلية وأجواء الصحراء القاسية والتي طالعناها فكانت تمتثل بصبغة فنية عالية .

ثم أن الشعراء في معاناتهم من تقلبات الزمن نجدها تتخذ مسارين كان الأول لديهم في التعبير عن مرحلة الفتوة والشباب (ابن منظور،١٩٩١م ،١٨١/١٠) والبهجة والقوة والنشاط ، والمسار الثاني يتحدث عن مرحلة الشيخوخة والهرم ، فكان المسار الأول يمثل عندهم مظهراً من مظاهر القوة الذي يتحدث عن زمن النشاط إذ يكون فيها الفتى شجاعاً قوياً ، والأعشى من الشعراء الذين كانوا على شاكلة امرئ القيس وغيره في الحديث عن النساء بلا تورع بل أنه يميل إلى المجازفة وهذه سمة من سيماء العشاق الفرسان الشجعان (الحتي،٢٠٠٧م،ص٢١٤) ، أما المرحلة الثانية هي التي تمثل الشيخوخة والكبر والتقدّم في السن والشيخ هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب (ابن منظور،١٩٩١م،٢٥٤/٧) ، وعلا مفرقه واشتعال الرأس به ، فقد سئل أحد الشيوخ عن الذي بقى منه فقال : « يسبقني من بين يديَّ ، ويلحقني من خلفي ، وأنسى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس في الملاء ، وأسهر في الخلاء ، وإذا قمت قربت الأرض منِّي ، وإذا قعدتُ تباعدت عنِّي « (الجاحظ،١٩٩٨م، ٩٠/٢) ، فمن هذا القول يتراءى صورة قاتمة عن الزمن المرتبط بالحديث عن الشيب ، وقد ذم العرب الشيب كونه نذيراً بقرب الرحيل ودنو الأجل، فهذا الزمن الذي يعطي الكثير من مباهج الحياة في مقتبل العمر القوة والبهجة والوسامة وفتل العضلات واكتنازها باللحم يعود أدراجه ليسلب ذلك على حين غرة دون تعرج أو خجل ، لذا تبرم الشعراء من ذلك لأنه زمنٌ صلفٌ لا يقر على حالة ولا يعذر أحداً ، قال المعتمر بن سليمان : « الشيب موت الشَّعَر ، وموت الشَّعَر

عِلَّة لموت البشر» (ابن عبد ربه،٣٥٦/٢) ، وهذا التحول الزمني في الحديث عنه والانتقال من مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيب يكون رهناً بالحالة النفسية للإنسان والتي تأخذه لتفسير واقعه بما تميل إليه النفس بين تقبل الواقع الجديد أو السخط على زمن ولَّى إلى غير رجعة ، ثم أن الحديث بين رفض الشيب والاستسلام لوهن الكبر نلمح أصداء ذلك الكبرياء في قصائد الفخر التي ينظمها الشاعر ؛ إذ يأنف العربي وهو في مجال الافتخار أن يظهر ذلك الضعف والفتور وتثاقل الخطوات وبطء الحركة ، على العكس من الموقف الآخر الذي يكون فيه غير مبال بشيبه ونحوله وهزل جسده وذهاب نضارة الشباب فلا يبدو حريصاً على هذا الموقف البطولي السابق ، بل يكون مسلماً قناعة لهذا اللون الأبيض الذي اعتلى رأسه وهذا نقرأه في قصائد المدح التي لاتكون بحاجة إلى الجلادة والصلابة (خليف،ص١٨٣،١٨٢) ، ومن مثل هذا الأمر نجد الأعشى لا يميل إلى المبالغة والهلع من تلك التغيرات التي تطرأ عليه نتيجة التقدم في العمر وكأنه تماشى مع الزمن فيقر بالحالة الجديدة تقبلاً ، فيقول من المتقارب (الأعشى،ص١٧٣) :

مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِن مَوْلِدِي ... كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حِسَّابُهَا
فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَا ... بِ وَالخَنْدَرِيسَ أَصْحَابِهَا

هذا الاقرار بالرضا لما آل إليه الحال بأن تلك التغيرات التي لا مهرب منها جاءت لتوديع زمن الفورة والتحول إلى زمن الفتور والركون إلى الهدأة والسكون ، والرضا ولو على غير قناعة أشبه بقول سليمان بن وهب (الزركلي، ٢٠٠٢م،١٣٧/٣) في الشيب إذ « نظر في المرآة فرأى بلحيته شيباً كثيراً ، فقال : عيب لا عدمناه « (الثعالبي،٢٠٠٣م ، ص٢٣١) ، فهكذا عاش الإنسان في تلك الصراعات مع الزمن يبكي ماضيه ويتذكر ما ذهب من لهو ومرح وقوة أسعفته على العيش والتلذذ بيومه ، يقول الأعشى من الخفيف (الأعشى،ص٣) :

مَا بُكَاءُ الكَبِيْرِ بِالأَطْلَالِ ... وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي

وتتكرر هذه الصورة في رسم حالته في الصراع بين عاطفته وحنينه للماضي وبين الواقع الذي يكابده ، فكان الشيب عند العرب غير محبب لكننا نجد الأعشى يمدح شيب هوذة بن علي الحنفي (الزركلي،٢٠٠٢م،١٠٢/٨) من البسيط (الأعشى، ص١٠٧) :

لَمْ يُنْقِصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لَهُ وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِم رَعَا

وفي هذه الأبيات إشارة لمدح الشيب التي يشار بها إلى الوقار والهيبة ولم يتحدث الشعراء عن الشيب في غير موضع العقلانية والحكمة ، وإلا فإن الشيب مذمة عند السابقين لكونه جرس إنذار بقرب النهاية وزمن الضعف والهزال .

ومن مفردات الزمن الأخرى (الدهر) والذي مر ذكره على ألسنة الشعراء بشأن كثير إذ يعبّر عن ارتباط وثيق بما قيل عن فترة الشباب والشيب كونه لا يقرّ على حال متلقب الأحداث ، فقد قيل في حال الدهر وذم الدنيا « هو الدهر لا يعجب طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه ، عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحباؤه في قران الانتزاع ، من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ، وتصرَّف الحوادث ، بين الموروث والوارث ، الدهر مشحون بطوارق الغير ، مشوب صفو أيامه بالكدر ممزوج صابه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه بأسباب الأجل ، وقد جعل الله الدنيا دار قُلْعَة ، ومحل نُقْلَة فمن راحل ليومه ومن مؤخر لغده ، وكلٌّ تشوَّفٌ لأجله ، وجار لأمدِهِ ، وما الدنيا إلا دار النقلة ، ولا المقام فيها إلا للرحلة « (القيرواني،٢٠٠١م،٣ /٢٤٨ ، ٢٤٩)، وفي حديث الشعراء عن الدهر وذمهم له من خلال تطاول الأيام والتعرجات والتغيرات بصورة سلبية كقول الأعشى من الخفيف (الأعشى، ص٣١٥) :

بَيْنَمَا المَرْءُ كَالرُّدَيْنِيِّ ذِي الجُبَّـ ـةِ سَوَّاهُ مُصْلِحُ التَّثْقِيفِ
أَوْ إِنَاءِ النُّضَارِ لَاحَمَهُ القَيْـ ـنِ وَدَارَى صُدُوعَهُ بالكَتِيفِ
رَدَّهُ دَهْرُهُ المُضَلَّلُ حَتَّى عَادَ مِنْ بَعْدِ مَشْيِهِ لِلدَلِيفِ

تظهر صورة التعجب للشاعر مما يفعله الدهر من تبدلات وتحولات فيشير إلى الرمح الثقيف وإناء الذهب وكيف أبدع الصائغ وأتقن عمله حتى أخفى مواضع اللحام وكأننا بهذا الحديث نلمح تشكيلاً عن صورة مشيرة إلى مرحلة الشباب الذي يكون فيها المرء قوياً مقبلاً على الحياة بهمة عالية وبنية جسمانية قوية ، لكن ينقلب ذلك إلى تحول ضعف وخطى مثقلة وسير هادئ حذر ، لذلك كانت العرب تشغل نفسها بزمنهم القادم والتقدم بالعمر .

ومن الإشارات الزمنية الأخرى التي أخذت حظاً وافراً من الشعر الجاهلي ولطالما أفرد الشعراء الكثير من الأبيات عن وصفها ووصف حالهم فيها ألا وهي ظاهرة الليل، والليل هو اسم من اسماء الزمان وصفة من صفاته ووقت للأفعال إن كانت ماضية أو مضارعة أو

مستقبلية (الأصفهاني،١٩٩٦م ،ص١٠١ وما بعدها) ، وما انفك الشاعر الجاهلي يصف الليل بكل تفصيلاته فكان يشكل الليل عنده تناقضات ، فأحياناً نجده يعبر عن الليل بكونه وقت اللهو والسمر والمغازلة ، وأحيانا أخر نجده مهموماً وليله ثقيلاً أرخى عليه بسدول الهم والطول المؤرق ، فعند الأعشى تنوع مفهوم الليل فمن المفارقات الليلية لديه أنه اتخذه وسيلة للتسلية ومغازلة النساء كقوله من الكامل (الأعشى،ص٢٧) :

فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا ... حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا
حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً ... فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا

فمفهوم شعر الأعشى كغيره من شعراء عصره كان مستمداً من الأوصاف الحسية التي لا نجد فيها أثراً للمعاني العقلية ، بل أن معانيهم مستوحاة من بيئتهم التي صورت حياتهم الجاهلية أدقَّ تصوير وأبلغ تعبير (خفاجي،١٩٩٢م،ص٢٥٣) ، ويسترسل شاعرنا في تصوير ملامح اللهو الليلة فيقول من مجزوء الكامل (الأعشى،ص٢٥٣-٢٥٥) :

فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيـ ... ـبُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَرْسَلَتْ ... مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِهَا
قَسَّمْتَهَا قِسْمَيْنِ كُلَّ ... مُوَجَّهٍ يُرْمَى بِهَا
فَثَنَيْتُ جِيْدَ غَرِيْرَةٍ ... وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقَابِهَا

ساد الظلام وأسدل الليل ستاره فكانت الفرصة المواتية للشاعر أن يصل المعشوقة ، فغلبة الوجد لم تدع له إلا الليل للفوز بذلك اللقاء والوصال ، وبعد أن غفل عنها رقيبها الذي يحرسها ، ليتيسر السبيل وليكون ذلك تمهيداً للطريق أمامه لنيل مبتغاه ، وما الليل إلا زمن مفضَّل لمثل تلك الحالة فهو مظنَّة العاشقين وخيمة لقاءهم ليغتنم فرصته ويشبع رغبته ويطفئ لهيب شوقه .

ومن جانب آخر كان الليل يمثل تماسكاً في بنية القصيدة لا سيما فيما يتعلق في بأقسام القصيدة المتنقل بين المقدمة والرحلة والغرض ، فقد ارتبط الاستعداد للرحلة والانتقال إلى خلق صورة زمنية مثقلة بالهموم كونه البداية الأولى للرحيل والهجران وشكل لحظة زمنية قاسية للشاعر (أبو شوارب،٢٠١٦م ،ص٢٠٩،٢١٠) ، وصوَّر ذلك بقوله من البسيط (الأعشى،٣٦٥) :

نَـامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيلَ مُرتَفِقَـــاً ... أَرعَـى النُّجُـومُ عَمِيداً مُثْبتاً أَرِقَـــا
أَسْهُو لِهَمِّي وَدَائِي فَهْيَ تُسْهِرنِـي ... بَانتْ بِقلبي وأَمْسَى عِنْدَهَا غَلَقَـــا
يَا لَيْتَهَا وَجَدَتْ بِي مَا وَجَدْتُ بِهَا ... وَكَـانَ حُـبٌّ وَوَجْـدٌ دَامَ فَـاتَّفَقَـا
لَا شَيءَ يَنْفَعُنِي مِن دُوْنِ رُؤيَتِهَـا ... هَلْ يَشْفِـي وَامِقٌ مَـا لَمْ يُصِبْ رَهَقَـا

استطاع الأعشى أن يوظف ببراعته الفنية زمنية صورة الليل الثقيلة فأبدع في تأصيل الجانب النفسي له ، إذ وقع أسيراً للأرق يراعي النجوم وقد أضناه الغرام فأثقل الهم روحه وأمسى قلبه رهينة لدى حبيبته ، فليس إلى استرداده من سبيل ، فما كان منه إلا أن يتوسد ظلام الليل ونجومه التي لم يجد ملاذاً غيرها ليتأمل بهجة جمالها وهي تتلألأ فمكنته من التحليق في فضاء حلمه لينسج هذه الصورة الشعرية البديعة .

والليل لدى الجاهليين من الشعراء ومنهم شاعرنا ابتنت على علاقة عاطفية تصل أحياناً إلى معنى القوة والصراع والعزيمة على مواجهة الصعوبات والتغلب على التحديات ومواجهتها ، فتخلق هذه العلاقة نوعاً من الارتباط النفسي والروحي لتنتج لنا صورة عن علاقة متينة وترابط وثيق بين الحبيب وحبيبته (عبد الفتاح ،٢٠٠٩م،ص٩١) وقد أوجد الأعشى صروة ذلك التحدي مع الليل بقوله من مجزوء الكامل (الأعشى،ص٢٨٥) :

وَلَقَـد طَـرقْتُ الحَـيَّ بَعْـــ ... ـــدَ النَّـــومِ تَنْبَحُنـــي كلابُـــهْ
بِمُشَـذَّبٍ كَالجِـذْعِ صَـــا ... كَ عَلَـــى تَرَائِبِـــهِ خِضَابُـــهْ
سَلـــسٍ مُقَلَّـــدُهُ أسِيَـــ ... ـــلٍ خَـــدُّهُ مَـــرعٍ جَنَابُـــهْ
فـــي عِـــزٍ وَسمـــيٍّ شَهْـــ ... ـــرٍ لَـــنْ يُعـــزِّ بنـــي مَصَابُـــهْ
حَطَّـــتْ لَـــهُ رِيـــحٌ كمـــا ... حُطَّـــتْ إلـــى مَلِكٍ عِيَـــابُهْ

وبذلك يكون الليل على الرغم من المعاناة فيه إلا أنه يكون هو الأساس الذي تبتنى فيه العلاقات العاطفية ومسرح لإنماء المودة والتحبب .

ومن التعبيرات الأخرى على الزمان عند الجاهليين استعمالهم لكلمة (اليوم) للإشارة والتعبير عن زمن الحرب وهو استعمال مجازي إنما أرادوا به أن يدل على الواقعة التي حدثت في هذا الزمان أو المكان وكثيرة هي الوقائع والحروب التي ذكرت باسم اليوم كيوم البردان والنسار أو يوم الكُلاب الأول أو يوم حليمة (المولى،ص٤٢ وما بعدها) ، أو يوم طفخة أو يوم أوارة وغيرها من الأيام التي ذكرت عن العرب في الجاهلية (الجندي،١٩٦٦م،ص٢٦ وما بعدها) ، وقد ذكر صاحب العقد الفريد أنه قيل لبعض أصحاب رسول الله (ﷺ) : « ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا «

(ابن عبد ربه،١٩٨٧م ،٦/٣) ، ومما لاشك فيه أن قول المتحدث عن أخبار الجاهلية يراد به أيام العرب ووقائعهم ومن ذلك ما ذكر للأعشى قوله عن يوم الزويرين (ابن الأثير،١٩٨٧م،١/ ٤٨٠،٤٨١).

يَـا سَلمِ لَا تَسْـأَلِي عنَّـا فَـلا كشف ... عِنْـدَ اللِقَـاءِ وَلَا سـود مقـاريف
نَحْـنُ الَّذِينَ هَـزمْنَا يَـومَ صبحنـا ... يـوم الزويريـن فـي جمـع الأحـاليف
ظَلـوا وظَلت تكـر الخيـلُ وسطهـمُ ... بـالشيب وبـالمـرد الغطـاريف
تَسْتَـانِس الشـرفَ الأعلَـى بِأعينـها ... لمـح الصقـور علت فوق الأظـاليف
انسل عنها نسيل الصيفِ فانجـردت ... تحت اللبـون متـون كالزحـاليف

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع الأعشى والحديث الذي سطرته الدراسة عن الزمن وتجلياته في شعره كانت هناك جملة أمور توصل إليها البحث بعد استقراء الأبيات الشعرية عند شاعرنا ومن أبرز تلك النتائج :

١ – إن الشاعر الجاهلي عاش في بيئة قاسية فرضت عليه قيوداً حتمية لمفاهيمه حول الكون وما يحيط به وما تنتهي به مسيرته في الحياة إلا أن المفاهيم لديه لم تكن واضحة بل كانت تحوم حولها الضبابية والتي أجهدت عقل الشاعر في تفسير الظواهر تلك ومنها مسألة الحياة والموت وما بعد الموت .

٢ – إن كل ما تم ذكره عن مفردات الزمن هو ما ورد في أشعاره رغم تنوع مفردات وألفاظ الزمن الأخرى .

٣ – عاش الشاعر الجاهلي في حالة من الصراعات مع الزمن ، وتمثل هذا الصراع بجانبين صراع داخلي مع نفسه وصراع مع محيطه وتقلبات الزمن ، وتغليب جانب على آخر وما أعنيه هو ميل الشاعر إلى تغيب مرحلة الشباب التي عدّها زمن النشاط والقوة وحب الحياة والاندفاع إليها بكل جوارحه بينما شكَّل المشيب هاجس الخوف فكان ضائق الصدر به مدة زمنية غير محببة إليه ما عدا ما يشير به إلى الحكمة والتعقل .

٤ – حاول الشاعر أن صور هذا الزمن بالغدر فهو يمر على أفضل الناس وأعلاهم منزلة على أشر الناس وأدناهم مرتبة إذ لا فرق بينهم تسري قوانينه عليهم بلا هوادة .

٥ – استثمر الشاعر أجزاء الزمن بمفردات تشير إلى هذا المفهوم إلا أننا وجدنا لديه بعض تلك التسميات التي انطلق منها حديثنا وهي الفاظ الدهر والليل واليوم ، وكذلك تصوير الشباب والشيب ، على أننا لم نواجه أثنا استقراء شعره ما يددل على لفظة أجزاء الوقت كالدقيقة أو الساعة أو غيرها .

٦ – مفهوم الليل كما هو معروف عند الجاهلي كان يمثل الثقل لطوله وتوالي الهموم، لكن قد نعثر على مفهوم آخر عند شاعرنا وهو يصوره بأنه زمن المودة والعاطفة والفوز بالحبيبة .

٧ – يتحدث الشاعر عن الزمن من خلال لفظة اليوم والمراد بها الواقعة والنازلة التي حدثت في ذلك الزمن ، فكانت لفظة اليوم بمثابة سجل تأريخي إذ ذكرت الواقعة باسم يوم كذا ويوم

كذا ، وما هي إلا إشارات زمنية وجدناها في شعرهم ، فوصفها الشعراء بذلك التعبير الزمني مريدين بها الحرب أو النزالات التي دارت بينهم .

المصادر والمراجع

١. الزركلي، خير الدين: ٢٠٠٢ ، الأعلام ، ط١٥، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ،ج٣ .

٢. زيتوني ، د . عبد الغني أحمد : ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م ، ط ١ ، الانسان في الشعر الجاهلي ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الامارات العربية المتحدة .

٣. المولى ، محمد أحمد جاد بك وآخرون : د . ت ، أيام العرب في الجاهلية ، د . ط ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٤. الجاحظ ، : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ١٥٠هـ – ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م ، البيان والتبيين ، ط ٧ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر .

٥. الثعالبي ، : أبو منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل ، تح : د . قصي الحسين ، ٢٠٠٣م ، ٢٣١ ، ط١ ، التمثيل والمحاضرة ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت – لبنان.

٦. أبو شوارب ، محمد مصطفى : ٢٠١٦م ، جماليات النص الشعري قراءة في أمالي القالي ، ط ٦ ، دار الوفاء ، الاسكندرية – مصر .

٧. هلال ، د . ريم : ١٩٩٩م ، حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا .

٨. خفاجي د . محمد عبد المنعم : ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ط : ١ ، دار الجيل ، بيروت – لبنان .

٩. ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : د . م . محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، المطبعة النموذجية .

١٠. الحصري القيرواني ، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ – ١٠٦١م) ، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه : د . صلاح الدين الهواري: ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م ، زهر الآداب وثمر الألباب ، ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، م٣ .

١١. نافع ، عبد الفتاح : ٢٠٠٩ ، الشخصية والطبيعة في الشعر القديم ، مجلة المورد ، المجلد (٣٦) ، العدد (٢) .

١٢. الجندي ، د . علي: ١٩٦٦م ، شعر الحرب في العصر الجاهلي ، ط٣ ،دار مكتبة الجامعة العربية، بيروت .

١٣. الجمحي ، : محمد بن سلام (ت ١٣٩هـ – ٢٣١هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر ، د . ت ، طبقات فحول الشعراء ، د . ط ، دار المدني بجدة .

١٤. الأندلسي ، احمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) ، تح : مفيد محمد قميحة : العقد الفريد ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

١٥. خليف ، د . مي يوسف: د . ت ، القصيدة الجاهلية في المفضليات ، د. ط ، دار غريب ، القاهرة – مصر .

١٦. ابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين ، الإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف (ت ٦٣٠ هـ) ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي : ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الكامل في التاريخ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

١٧. المرزوقي الاصفهاني ، الشيخ أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن ، ضبطه وخرج آياته : خليل المنصور: ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، كتاب الأزمنة والأمكنة ، ط ، ١دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

١٨. ابن منظور (ت ٦٣٠ – ٧١١ هـ) اعتنى بها وصححها أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي: ١٤١٩هـ - ١٩٩١م ، لسان العرب ، ط٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

١٩. الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٢ هـ) ، تح : د . مفيد محمد قميحة ، ٢٠٠٨م ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٢٠. بدوي ، عبد الرحمن : ١٩٤٥م ، الموت والعبقرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم ، بيروت- لبنان .

٢١. الحتي ، د . حنا نصر: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م ، مظاهر القوة في الشعر الجاهلي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

References:

1. Khalil Khair al-Din: 2002, Al-Zarrar Al-Ilam, 15th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, Lebanon, Vol. 3.

2. Zaytouni, Dr. Abdul-Ghani Ahmad: 1421 AH - 2001 AD, 1st ed., Man in Pre-Islamic Poetry, Zayed Center for Heritage and History, United Arab Emirates.

3. Mawla, Muhammad Ahmad Jad Bey and Akhirun: n.d., Days of the Arabs in Pre-Islamic Times, n.d., Al-Asriya Library, Sidon, Beirut.

4. Al-Tha'alibi, Abu Mansur Abdul Malik bin Muhammad Ismail, ed. Dr. Qusay Al-Hussein, 2003, 231, 1st ed., Representation and Lectures, Dar and Library of Al-Hilal, Beirut, Lebanon.

5. Abu Shawareb, Muhammad Mustafa: 2016, Poetic Texts: A Reading of Al-Qallali's Amalis, 6th ed., Dar Al-Wafa, Alexandria, Egypt

6. Hilal, Dr. Reem: 1999, The Modern Arab Criticism Movement in Pre-Islamic Poetry, Arab Writers Union Press, Damascus, Syria.

7. Diwan Al-A'sha Maymun ibn Qays, Al-Kabir commentary and explanation: Dr. M. Muhammad Hussein Al-Mutawa, Library of Literature in Al-Jamaiz, model edition.

8. Hasri Al-Kairwani, by Abu Ishaq Ibrahim ibn Ali (d. 453 AH - 1061 AD), introduced, punctuated, and explained with bibliographic instructions: Dr. Salah Al-Din Al-Hawari: 1421 AH - 2001 AD, Zahr Al-Adab wa Thamar Al-Albab, 1st ed., Al-Mu'assasa Al-Asriya, Sidon - Beirut, vol. 3.

9. Nafi', Abdul Fattah: 2009, Personality and Nature in Ancient Poetry, Al-Mawrid Magazine, Vol. (36), No. (2).

10. Al-Jundi, Dr. Ali: 1966 AD, War Poetry in the Pre-Islamic Era, 3rd ed., Dar Maktaba Al-Jami'ah Al-Arabiyya, Beirut.

11. Al-Jamhi, Muhammad ibn Salam (d. 139 AH – 231 AH), edited by Mahmoud Muhammad Shaker, n.d., Classes of the Great Poets, n.d., Dar Al-Madaniyya, Jed-

dah.

12. Al-Andalusi, Ahmad ibn Muhammad ibn Abd Rabbih (d. 328 AH), a masterpiece by Mufid Muhammad Qumiha: Al-Iqd Al-Farid, 2nd ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

13. Khalif, Dr. Mai Youssef: n.d., The Pre-Islamic Favorite in the Favorites, n.d., Dar Gharib, Cairo, Egypt.

14. Ibn al-Athiri, known as Izz al-Din, the scholar and the mainstay of historians, Abu al-Hasan Ali ibn al-Karm Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaybani al-Ma'ruf (d. 630 AH), trans. Abu al-Fida Abdullah al-Qadi: 1407 AH - 1987 AD, Complete History, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon. - al-Marzouqi al-Isfahani, Sheikh Abu Ali Ahmad ibn Muhammad ibn al-Hasan, transliterated and annotated by Khalil al-Mansur: 1417 AH - 1996 AD, The Book of Times and Places, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut.

15. Al-Abshihi, Shihab al-Din Muhammad ibn Ahmad al-Fath (d. 852 AH), ed. Dr. Mufid Muhammad Qumiha, 2008, Al-Mustatraf fi Kul Fann Mustatraf, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

16. Badawi, Abd al-Rahman: 1945, Death and Genius, Publications Agency, Kuwait, Dar al-Qalam, Beirut, Lebanon.

17. Al-Hatti, Dr. Hana Nasr: 1428 AH - 2007 AD, Manifestations of Power in Pre-Islamic Poetry, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.